باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب لنتحاور ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للأذهان. ولكن الهفوة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا مندوحة عما خرج عن موضوع المقتطف . ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاتب انخلاعا غيره عظيماً كان المعترف بأغلاطه أعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تفضل على المطولة

الرسالة العذراء

للأب انستاس الكرملي

كلمة في طبعتها الثانية

وقع بيدي في هذه الايام «الرسالة العذراء» لابراهيم بن المدبّر ، مصححة ومشروحة مع مقدمة مفصلة بالفرنسية عن فنّ الانشاء ومذاهب الكتّاب في القرن الثالث بقلم الدكتور زكي مبارك ، فوجدتها رسالة بديعة السبك ، مترجمة لفن الكتابة في المائة الثالثة للهجرة ، ومما زادها ثمناً وتقديراً ان الدكتور زكي مبارك صحّح ما دسّهُ النسّاخ من الاوهام ، واشار الى بعض ما ذكر منها او مثلها في بعض المؤلفات ؛ ولا سيما في العقد الفريد . فجاءت حقيقة فائقة عذراء يفتخر بالوقوف على محاسنها كل من يهمّهُ آداب العرب وأساليب كتابتهم وبدائع لغتهم

بعض هفوات في طبعتها هذه

كانت هذه الرسالة طبعت في القاهرة بعناية الاستاذ محمد كردعلي في سنة ١٩١٣ في مجموعة سماها : «رسائل البلغاء» وقعت في ٣٢٠ صفحة بقطع الثمن الصغير ، ووقعت الرسالة العذراء في الصفحة ١٧٦ الى ١٩٣ ولم يُرَ فيها هذا الوشي الذي نراهُ فيها في الطبعة «المباركة» وفيها تلك الحواشي النفيسة ، والضبط بالشكل الكامل في بعض المواطن التي تحتاج اليهِ ، الى غير ذلك من المحاسن التي جاء بها علماء العصر الذين يعالجون مصنفات الاقدمين ليخرجوها الى المعاصرين المستفيدين منها فائدة طيبة

وقد عثرنا في مطاوي مطالعتنا لهذه الطبعة على هفوات نكاشف بها الدكتور المحقق ، لعله يصلحها في طبعة ثالثة او يصلح وهمنا ان كنا من المخطئين

اننا لانتعرض هنا لبعض هفوات الطبع التي لا تخفى على القارىء مثل هوجرونيه (ص٤)

وهو هرجرونيه او هورجرونيه. وما ثلاث (ص٢٢) وهي ماثلات — وزيادة ضرورية (حاشية ص ٣٢) وهي زيادة ضرورية . فهذه وامثالها تتركه على علاتها، ونذكر فقط ما يظن انهُ من غير هذا القبيل

١ً وقد جاء في حاشية ص ٥ : « لا حاجة اليها » . والمعروف في مثل هذا المقام ان يقال : « لا حاجة « لنا » اليها » ، او « لا حاجة « بنا » اليها » (راجع في هذا الموضوع لغة العرب مجلتنا ٨ : ١١١)

٢ً وورد في ص ٨ : « وان شذوت من هذه العلوم ما لا يشغلك عملهُ و ....و.... فعلق على هذه العبارات : « لم يذكر الكاتب جواب الشرط » . — ونحن نظن ان « وإنْ » في هذا الكلام ليست للشرط : بل وردت بمعنى يقارب قولك : « ولو » وبالفرنسية Quoique

٣ً وفسّر اللهازم في الحاشية ٦ من تلك الصفحة بقوله : « جمع لهزمة وهو عظم ينتأ تحت الاذن » — فقوله « ينتأ » يبين ان هناك زمناً لا تكون فيهِ اللهزمة او اللهازم . ولو قال في مكان ذلك : «عظم تأتي تحت الاذن» لانتفى كل لَبْس.

٤ً وقال المؤلف في ص ٩ : « ولا يكون [الكاتب] مع ذلك فضفاض الجُبّة ». فقرأها المصحّح « فضفاض الجثة » وهل في يد الكاتب ان يكون جسيماً ام ضعيفاً ؟ وهل من مانع يمنع الكاتب الجسيم ان يكون بارعاً ؟ هذا فضلاً عن ان المعروف عن الفضفاض انهُ من صفات الملبوسات ، لا من صفات الاجسام او الجثث . والذي يثبت ذلك كلام المصحح نفسهِ في حاشية من تلك الصفحة اذ نقل عن الجاحظ : «فأبان انهم كانوا يهتمون بتعريض «الجُبّة» و« تطويل الذيل »

٥ وجاء في الحاشية ١ من تلك الصفحة ٩ قول المصحّح : « وقد اعطانا ياقوت بعض التفاصيل . . . والتفاصيل التي أعطاها صاحب العقد . . . » ونحن نرى هذا التعبير غير عربي صرف ، وان كان صحيح التركيب . وتفضل عليهِ قول من يقول : «وقد ذكر لنا ياقوت تفاصيل . . . والتفاصيل التي اوردها صاحب العقد . . . » او ما يضاهي هذا الكلام الذي لا يشم منهُ رائحة الاعجمي

٦ وذكر في ص١١ كلام المؤلف « ومذاهب يجب عليك ان تراعيها في مراسلتك اليهم في كتبك» ونظن ان صحيح العبارة . . « في مراسلتك إياهم » لانهُ يقال : راسلهُ لا راسل اليهِ

٧ً وجاء في الحاشية ٥ من ص ١٢ : «وروي عن حماد بن زيد أنهُ قال : احدثها الزنادقة وقال الاصمعي . هي من دعاء الزنادقة . وقيل : أصل يبطل هذا ، ويطلق الكاتب بها » فهذه العبارة لا معنى لها . وهي ترى كذلك في الاصل المطبوع من أدب الكُتّاب . ونحن نرى

فيها نقصاً او تصحيفاً او حذفاً . ولعلّ الصواب : «وقال العمولي (اي المؤلف صاحب كتاب أدب (الكتاب) . يبطل هذا ويطلق الكاتب بها »

٨ً وفي ص ١٣ : «لو رأى الكلب مائلاً في طريق . . . » والذي احفظهُ من هذا البيت « لو رأى الكلب بائلاً في طريق . . . »

٩ً وذكر لي الاستاذ المحقق مصطفى جواد أن قول المؤلف في ص ٢١ : «فما فوقهُ منهنّ غير غرائر» محرّف والصواب « فهنّ »

١٠ً وفي حاشية ٣ من تلك الصفحة : « ما في دراعيهِ او في احدها بياض » . ولعلّ الصواب «أو في احداها » لان الذراع أنثى

١١ً وذكر الكرشف بالشين المعجمة في الحاشية ٣ من ص ٢٢ والمعروف في هذا المعنى الكرسف بالسين المهملة

١٢ً وقيل هناك . «ان قولهم: ما لاقت المرأة عند زوجها اى مالصقت بقلبهِ مأخوذة من لاقت الدواة » هو حديث خرافة . وماكان يحسن ان يثبت في هذا الكتاب ، ولا سيما على يد أحد مشاهير الادباء مثل الدكتور زكي مبارك ؟ لان الدواة حديثة بالنسبة الى لصوق المرأة بقلب زوجها

١٣ً وفي نص ص ٢٤ : « ولئن قيل : كأنهُ الرمح الرديني فقد قال الكاتب . . . » والصواب « ... لقد . . . ليكون جواباً للئن . وهذه النقولة للاستاذ مصطفى جواد المدقق. وقد ذكر لي ايضاً ان في قول المؤلف في ص ٢٨ . «وكذلك ماء الكثير او النشاستج » خطأ ظاهراً . والصواب « ماء الكثيراء » « والكثيراء : ضرب من الصمغ مشهور »، ويعرفهُ العراقيون بهذا الاسم الى يومنا . واسمهُ بالفرنسية Gomme adragante (راجع مفردات ابن البيطار كلمة كثيراء) وبمعرفة هذه الكلمة والوقوف على صحتها لا يبقى لهُ حاجة الى قولهِ في الحاشية : «الكثير : طَلْعُ النخل ، وهو في كتب اللغة «الكثر» بالفتح والتحريك»

١٤ً وفي حاشية ٤ من تلك الصفحة: «الضمير عائد على القراطيس »والمشهور في التعبير: « عائد « إلى » القراطيس »

١٥ً وفي حاشية ٨ من تلك الصفحة ايضاً : «الوشق : نوع من العشب » . والمعروف عند المغربين والعراقيين ان الوشق لغة في الاشق كسكّر وهو صمغ نبات كالقثاء شكلاً يلزق بهِ الذهب على الرق (راجع القاموس واللسان والتاج ومفردات ابن البيطار)

١٦ً وفي حاشية ٢ من الصفحة ٣٩ : « دهن صفار البيض » وهو منقول عن صبح الاعشى . ولو اصلحها « المبارك » وقال : « دهن صفرة البيض ، او دهن المحّ » لكان

اصحّ . — وفي تلك الحاشية : « كلة عن الكتابة .... كلة عن وضع الكتابة ...» والمشهور في مثل هذا التعبير : « كلة على . . . »

١٧ وفي ص ٣٥ : « فمتى خضت احداً بغير ما يشاكلهُ . فقد اجريت الكلام غير مجراهُ وكشفتهُ » هكذا وردت هذه الكلمة بالشين المعجمة . والصواب : « وكسفتهُ » بالسين المهملة ، اي حجبتهُ كما يكسف الله الشمس

١٨ وفي تلك الصفحة : « ابلغ الكلام ما لا يحتاج الى كلام ، واحسنهُ ما لم يكن بالبدويّ المُغرب ، ولا القرويّ المخدج » وضبطت الكلمة الاخيرة كمسلم . وفسّرها بالناقص في الحاشية . قلنا : والصواب عندنا : « المجدَّح » كمعظم بصيغة المفعول ، لان كلام القروي — وهو ساكن القرية ، والقرية المدينة الكبرى — مخلوط بكلام آخر من لغات مختلفة . فالمجدَّح : المخلَّط لا غير . وهذا يؤيدهُ سياق الكلام . زد على ذلك ان ضبط المخدج على الفاعلية في هذا الموطن مخالف لما فسره وكان يجب ان يضبط على المفعولية ، اي بصيغة المجهول

١٩ وما يجلب النظر الدقيق قول المؤلف في ص ٣٦ : « ويزداد [الكلام] حسناً على مرّ السنين بتجلية الرواة ، وتنقية السراة » وضبطت هذه الكلمة بضم السين . والسراة بهذا الضبط جمع سار . ونظن ان الصواب مع من يضبطها هنا بالفتح لتكون جمع سريّ ، وهو الجيد من كل شيء والسيد الشريف

٢٠ وورد في تلك الصفحة قوله : « لما هطلت شآبيب الكلام ، وتدافقت سيوله » . قلنا : لا وجود لتدافق في كلامهم فضلاً عن ان المعنى يتطلب هنا التدفق ليدل على التصبب المتتابع

٢١ وجاء في متن ص ٣٧ قوله : « فوجد طارّاً يقال له « الشفانين » . والذي نراه ان الصواب هو « الشفنين » ليتسق مع قوله : « طارّاً » وهو مفرد . اما الشفانين فجمع ، وهذا لا يمنع قول ذياك المتسجح انهُ « شفاء من الانين » ، كأنهُ يزعم ان الشفنين منحوت من شفاء الانين . على انهُ لو قال قائل : ان الشفانين اقرب الى « شفاء الانين » فهذا صحيح ، لكن لا توجيه لهُ كالتوجيه الذي يحرّر النحت والنحو معاً في قولك الشفنين

٢٢ ومما يسترعي الانتباه ما جاء في نمر ص ٣٩ فقد قال صاحب الرسالة : « والمعاني كلها ممتثلة والكلام مشبعاً ولكن سياستهُ صعبة » . قلنا : ولا معنى في قوله : « ولكن سياستهُ صعبة » والذي نراهُ في موضعه قولك : « ولكن سياقتهُ » فينجلي المعنى ويتسق مع سابقه ولاحقه

٢٣ ومن هذا القبيل ما جاء في تلك الصفحة نفسها اذ يقول ابن المدبّر : « وهي كاللآلئ المنظومة في اصدافها » . والذي نعهده ان اللآلئ « منضودة » في الاصداف ، اي مجعولة بعضها فوق بعض بلا نظام ، او « موضونة » اي مسْنيّة بعضها على بعض ومنضّدة فيها .

ولهذا يكون قوله « المنظومة » من مسخ النساخ

٢٤ وعلى الشارح في ص ٤٠ على قول المؤلف : « واما اللسان فهي الآلة » ما هذا صورتهُ : « أنَّث الضمير مراعاة للخبر » — قلنا : ولا حاجة في صدرنا الى هذا التأويل . والصواب ان اللسان مذكر ومؤنث فأنث الضمير هنا على رأي من يعتبر الانسان انثى

٢٥ ومما توجّهُ اليهِ نظر الشارح المبدع ما جاء في ص ٤١ إذ يقول المؤلف . « واللسان وان كان ذلقاً فصيحاً لا يعدو سامعهُ » فجاءت « ذلقاً » هناك « زلقاً » بالزاي ، فانقلب المعنى ، لكن اي انقلاب !

٢٦ ومما يستحق ان يدقق النظر فيهِ قول المؤلف : « وفوض ذلك لابن عمهِ » . والمشهور عند الفصحاء في هذا الاستعمال ان يقال : « وفوض الامر الى ابن عمهِ » . ولعل لهُ عذراً من باب التخفيف اي من باب ورود اللام بمعنى « الى »

٢٧ وورد في ص ٤٥ : « ويكون في قراد (اي في قوى البليغ) فضل للتصرف في كل طبقة ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل (التنقيح ، ويصفيها كل التصفية ، ويهذبها غاية التهذيب » . وعندنا ان الصواب هنا حذف « لا » السابقة ليدقق وينقح وحينئذ يتسق المعنى والمبنى مع سابقه ولاحقه

***

واختم نظراتي الطفيفة شاكراً للدكتور زكي مبارك عنايته باخراج هذه الطرفة بأحسن حلية مادية وادبية ، فجاءت تتهادى بين ايدي الادباء كأنها الغادة الحسناء ، بل البكر العذراء . وعسى اننا نرى عن قريب الطبعة الثالثة نقية من كل شائبة وليس ذلك بعسير على من وقف نفسه لخدمة اللغة والناطقين بها

بغداد في ٢٦ /٤/١٩٣٣ الاب انستاس ماري الكرملي

مؤلف مختار الصحاح

وقرنه

الى حضرة الاستاذ الكريم محرّر المقتطف ، قرأت في ص ١٣٦ من سنة ١٩٣٣ المقتطف كما قول الشيخ عبد القادر المغربي :

« وقد ألّف الرازي كتابه هذا [أي مختار الصحاح] سنة ٧٦٠ للهجرة أي منذ ستة قرون » وأنا أرى هذا القول خطأً وأن الصواب « ٦٦٠ » ه فالمختار يكون قد مضى على

تأليفه تراب « سبعة أقرن » لا « ستة » أما دليلنا على قولنا هذا فهو ما ورد في كشف الظنون ، فقد قال مؤلفه عن صحاح الجوهري « واختصره الشيخ الامام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي المتوفى بعد سنة (٦٦٠) وسماه مختار الصحاح ... وفي آخره: وافق فراغه عشية يوم الجمعة سنة ٧٦٠ » [1] فهذا التاريخ الاخير ، من زلّة قلم المؤلف أو الناسخ على ما نرى ، والاول هو الصحيح بأدلة :

أولها : أن صاحب كشف الظنون ذكر في باب «غريب القرآن» ومن ألف فيه ماصورته «والامام زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي صاحب مختار الصحاح ، أوله : الحمد لله بجميع محامده الخ وفرغ من تأليفه في سنة ٦٦٨ [2] » فكتابه هذا في الغريب ألفه بعد مختار الصحاح بـ «٨» سنوات

وثانيها : أن الكتب التي نقل عنها الرازي للاستدراك على الجوهري أو لاتمام النائدة لم يتجاوز تاريخ مؤلفيها سنة «٦٦٠» الهجرية : فقد ذكر «ديوان الادب» لاسحق بن إبراهيم الفارابي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ في مادة «غل» و «كنى» و «شاء» و «خل و «سجن» و «سجل» و «رعد» و «خون» و «حضر» و «جبى» و «جز» و « أرب » وذكر الزمخشري في مادة «حد» و «قصر» والهروي في «ريض» و «قصر» و «سوى» و «بس» ومصادر البيهقي في «بس» والمطرزي المتوفى سنة « ٦١٠ » هـ على رواية في « دلب » و « غل » و « كور» و« طهر » والمنهاج للاسرائيلي المتوفى سنة «٦٥٨» في مادة « ورد »

وثالثها . أن السيد البحاثة عبد الله مخلص ذكر في كراسته عن صاحب مختار الصحاح أنه كان من معاصري الصدر القونوي المتوفى سنة ٦٧٣ هـ

ورابعها : ان من العلماء المعاصرين لصاحب مختار الصحاح الوارد ذكرهم في آخر ورقة من المجلد التاسع من كتاب جامع الاصول للسمرع بمدينة قونية ، رجل اسمه «قلمشاه» كما ذكر عبد الله مخلص ، وأقول انا : لقد ذكر ابن بطوطة في رحلته الى قونية سنة «٧٣٣» ما نصه « نزلنا منها بزاوية قاضيها ويعرف بابن قلمشاه [3] » فهو ابن قلمشاه المذكور المعاصر للرازي وهذا يثبت ان قرن الرازي هو القرن السابع للهجرة ويستحيل معه بلوغه سنة «٧٦٠» هـ ، كيلا يكون عمره « ١٥٠ » سنة على اقل تقدير ، بل ان الادلة السابقة تحيل هذا اشد الاحالة ، واختلاف الناس في تاريخ هذا العلامة من سوء حظه فهو في ضياع تاريخه مثل « محمد بن أبي زيد القرشي » صاحب جمهرة اشعار العرب الذي كان قد ادرك القرن الخامس للهجرة ، ولم يعرف احد من المعاصرين زمانه غيرنا ، وذلك بعد النعب الشديد مصطفى جواد

(١) ج ٤ : ص ٩٤ من طبعة أوربة (٢) ج ٤ ص ٣٣١ من تلك الطبعة (٣) ج ١ ص ١٨٦ من طبعة مصر